

قَوْلًا غَدْرًا وَضَوْلًا بِيَدِهِ وَقَوْلًا قَدْ تَسْرَفَ فِيهِ الْإِنْسَانُ
مِنْ كِتَابِ

مَرْحَبًا يَا هَاجِرَ الْبَغْتِغِي

لفضيلة الشيخ الدكتور

أحمد بن محمد بن سيال المرزبان مؤلف

حفظه الله تعالى



اللقاء الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد :

فلازلنا في مدرسة لكتاب شيخنا الإمام ربيع بن هادي عمير المدخلي - حفظه الله تعالى - مرحبا يا طالب العلم ، وقد انتهينا بفضل الله - عز وجل - من مدرسة الرسالتين السابقتين والتي كانت بعنوان وهي الرسالة الأولى : شرف الطالب وكال زينته بمعرفة فضل العلم وعظيم أهميته ، ثم مدرسة الرسالة الثانية والتي كانت بعنوان :

فضل العلم والعلماء ، كما كان بالأمس وقد انتهينا منها بحمد الله تعالى - ، والليلة - بإذن الله تعالى - نتدارس الرسالة الثالثة

فضل العلم النافع

أقول - برك الله فيكم - : الشيخ في هذا العنوان يلفت الأنظار إلى أن العلم منه ما هو نافع لصاحبه ، ومنه ما ليس بنافع .

ما هو نافع لصاحبه باختصار ؛ هو العلم بالكتاب والسنة على منهج السلف الصالح مع العمل به ، والدعوة إليه ، والصبر في الدعوة إليه ، وأما العلم الذي لا ينفع صاحبه ؛ فهو إما لكونه لا يعمل به ، أو يعمل بخلافه ، أو أن يكون ذات العلم ضار ؛ كعلم السحر ، أو علم النجوم المحرم تعلمه ؛ لأن علم النجوم على نوعين :

نوعٌ يجوز تعلمه : وهو الذي يستدل به على الطرق ، ومعرفة الجهات للقبلة والسفر .

ونوعٌ محرم تعلمه : وهو الذي يُدرس ليتوصل به إلى معرفة أحوال الأشياء ونحو ذلك من الأمور المنهي عنها .

فهذا من الشيخ في العنوان فائدة عظيمة ؛ تنبيه أن العلم ليس كل من تلقاه انتفع به حتى يحقق نوعه ؛ وهو الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة ، وحتى يعمل به ويطبقه ؛ لأن المقصود من العلم كما سيأتينا - إن شاء الله - أن تعبد الله على بصيرة ، وأن تعمل به .

- من الفوائد :

التي ذكرها شيخنا - حفظه الله تعالى - في هذه الرسالة :

أن الخيرية للأمة الإسلامية تكون عن طريق العلم بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة ؛ فهذا هو طريقها .

- ومن الفوائد :

أن على طالب العلم الاتباع لمنهج السلف الصالح وجوباً ، ويحرم عليه الابتداع واتباع الهوى .

- ومن الفوائد :

أن مجرد حمل العلم لا ينفع صاحبه حتى يكون عملاً على مراد ربنا - سبحانه وتعالى - ؛ أي كتاباً وسنةً على منهج السلف الصالح - رضوان الله عليهم - .

- ومن الفوائد :

معرفة أن العلم أساس للأقوال والأعمال ، فعلى العبد إذا تكلم أن يتكلم بعلم ، وإذا عمل أن يعمل بعلم أو يسكت ، قال - صلى الله عليه وسلم - : (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ) (1)

- ومن الفوائد :

أنّ المؤمن العالم يتحلى بالأدب العالي بأن لا يقول إلا خيراً ، فإذا لم يجد مجالاً لكلمة الحق فعليه أن يصمت ، ولا يتكلم بالفحش ، ولا يتكلم بالباطل ، لا يتكلم بالغيبة ، ولا بالنميمة ، ولا بالإشاعات الظالمة الفاسدة .

(1) رواه البخاري ومسلم .

- ومن الفوائد :

أنّ العلم ليس المقصود منه مجرد الدراسة ، وحمل الشهادات ؛ إنما المقصود بالعلم الفقه فيه ؛ فقه العقائد ، والعبادات ، وكل ما يتعلق بحياة المؤمن مع العمل على منهج السلف الصالح - رضوان الله عليهم - ؛ إذ المقصود من العلم طاعة الله - تبارك وتعالى - وطاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وتصديق أخبار الله .

- ومن الفوائد :

أنّ من احترام العلم الرحلة إلى أهله ، فقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يرحلون لسماع وطلب الحديث الواحد ، وكذا كان السلف الصالح من التابعين فمن بعدهم يرحلون لسماع الأحاديث ؛ حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فالرحلة إلى العلم وطلب الحديث من احترام العلم .

- لماذا ؟

الجواب : لأنهم عرفوا قدر العلم ، وعرفوا منزلة العلم ، وعرفوا شرف العلم في الدنيا والآخرة ، وأن الله يرفع أهله درجات .

- ومن الفوائد :

أنّ الله لم يأمر رسوله - صلى الله عليه وسلم - بالزيادة من الشيء من أمور الدنيا ؛ إنما أمره أن يطلب المزيد من العلم ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (2) فلم يقل زدني مالاً ، ولا دنيا ، ولا سلطاناً ؛ وهذا دليل على شرف العلم .

- ومن الفوائد :

← وهي فائدة مهمة :

(2) سورة طه [الآية : 114]

أن طالب العلم عليه أن يطلب العلم ويتعلم ، ويبحث ، ويدرس طيلة حياته كما قيل : " من المهدي " - يعني من الولادة - إلى اللحد " ، فلا يرى نفسه في يوم من الأيام أنه عالم ، وأنه مستغني عن طلب العلم ؛ ولذلك كان السلف يقولون : " من قال أنا عالم ؛ فهو جاهل " .

أقول : هذه الفائدة التي ذكرها شيخنا - حفظه الله تعالى - مفيدة لنا ؛ لأن بعض طلاب العلم وطالبات العلم قد يحفظون بعض المتون ، ويقرؤون بعض الكتب ثم يتصدّرون للتدريس ، ويظنون أنفسهم أنهم أصبحوا علماء ليسوا بحاجة للرجوع للعلماء والاستفادة منهم ؛ وهذا خطأ ، ولقد رأينا مشايخنا - حفظهم الله تعالى - كان الواحد منهم إذا لقي أخاه العالم أو لقي من هو أعلم منه استفاد منه ، وباحثه ، ودارسه وإن كان عالمًا ، ولقد كان شيخنا يحيى بن عثمان المدرّس - حفظه الله تعالى - كان يحضر دروس العلم ، ثم كان يدرّس إخوانه وتلاميذه في الأوقات الأخرى ، مع كونه مدرّسًا معيّنًا ، لم يمنعه ذلك من مواصلة العلم ؛ ولذلك كثر عندنا المتعلمون ؛ وهم الذين تعلموا شيئًا من العلم ثم أصبحوا علماء وهم لم يتأهلوا علميًا ، فنتج عن ذلك كثرة التخبّطات ، وكثرة الأخطاء في المسائل العلمية ، فيقولون جهلاً ، ويفتون جهلاً إلا من رحم الله ؛ فلذلك - بارك الله فيكم -

← فأنا أقول لكم وأقول لنفسي :

إنّ هذه الفائدة دقيقة وجليّة وهي باختصار كما سبق ؛ أن نستمر في طلب العلم عن طريق قراءة الكتب ، وعن طريق حضور مجالس العلماء إذا توفرت لدينا ، وعن طريق السماع لشروحاتهم ، وعن طريق سؤالهم والرجوع لهم ، فلا تظن يا طالب العلم ولو كثرت محفوظاتك ولو كثرت عائتك أنك أصبحت عالمًا ولست بحاجة إلى الزيادة في العلم ، هذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول الله له : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ .

- ومن الفوائد :

التي بين الشيخ أيضًا أنّ العلم يحتاج إليه الناس أشدّ من حاجتهم إلى الطعام والشراب ، وهذا أيضًا جاء نحوه عن الإمام " أحمد " - رحمه الله تعالى - ؛ أنّ العلم يُحتاج إليه أكثر من الطعام والشراب .

- ومن الفوائد :

أنّ الفقه الذي امتدحه الشرع هو الموصل للعبد بأن لا يأمن على نفسه ؛ لأنّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ؛ يعني أنّ الفقه الذي يؤدي بصاحبه إلى الخشية ، وإلى الحذر ، وإلى الخوف من الله - عز وجل - ومراقبته ؛ هذا هو الفقه المطلوب ، وليس الفقه معرفة الأحكام الفرعية ، ومعرفة بعض العلوم مع المحفوظات ويظن صاحبها أنه قد بلغ من العلم شيئاً كثيراً ، فيتفاخر ويتعالى على الناس ؛ هذا جهل ، هذا تخبط ، هذا تعالم ، العلم يقود صاحبه إلى الخشية ، إلى استصغار نفسه أمام الله - عز وجل - ، إلى الخوف من الله ، إلى مراقبة الله - عز وجل - ؛ فلذلك يقول الشيخ : " هذا والله هو الفقه ؛ أن لا يأمن الإنسان على نفسه ؛ لأنّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ."

- ومن الفوائد :

أن الواحد منا عليه أن يحفظ قلبه ، وعقله ، وعلمه ، وأن يحرس هذه الأشياء حراسةً شديدة ، أشدّ ما يحرس ماله وعرضه ، قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ۗ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (3) ، فالفقه أن لا يأمن الإنسان على نفسه .

- ومن الفوائد :

التي ذكرها شيخنا - حفظه الله تعالى - :

أن حفظ الحديث ما يعين على حفظه العمل به ، فقد كان السلف يقولون : " إذا أردت أن تحفظ الحديث فاعمل به ، فإن العمل يثبت العلم ."

وهذا جاء عن وكيع بن الجراح ، وعن إبراهيم بن إسماعيل يقول : " كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به "

(3) سورة آل عمران [آية : 08]

قال الشيخ : " وإذا كان الإنسان يقرأ ولا يعمل فإنه يضيع منه العلم " وهذا فيه تنبيه إلى الحاجة إلى مذاكرة العلم ، وإلى تطبيقه - بارك الله فيكم -

- ومن الفوائد :

أن طالب العلم والمسلم يجعل تعاليم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وسنته وتصرفاته كأنها نصب عينيه ؛ يطبقها ، ويعمل بها ، ويدعو إليها ، فإذا طبقها وعمل بها ودعا إليها ؛ كان من أهلها .

- ومن الفوائد :

أن تعلم يا عبد الله أنك مأمور بتبليغ العلم الذي يأتيك وتناوله ؛ تبلغه كثيراً كان أو قليلاً ، وإياك والكذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؛ لقوله - صلى الله عليه وسلم - (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً) (4) ؛ فهذا فيه دليل على تبليغ العلم ولو قل ؛ ولكن أن تبليغ العلم الصحيح ، ولذلك حذر شيخنا - حفظه الله تعالى - من الكذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؛ لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : (مَنْ قَالَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) .

ونبه شيخنا - حفظه الله تعالى - أن بعض الناس قد تدفعهم العواطف العمياء والجهل إلى الكذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأن يقول : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كذا وكذا... فينقل حديثاً مكذوباً ، فإما أن يكون هذا هو الذي اخترع ذاك الحديث ، كما يقع من المتصوفة الجهال ، وإما أن ينقل حديثاً اخترعه غيره فيصدق عليهم قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : (مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ) (5) أو " الكاذِبِينَ " روايتان ؛ يعني - وهذه فائدة دقيقة - أن الواحد منا لو نقل حديثاً عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو لا يعلم هل هو صحيح أم كذب فيكون كذباً ؛ فيكون هذا الناقل من الكذابين ، من المشاركين للإثم لهؤلاء الكذابين .

(4) رواه البخاري.

(5) أخرجه مسلم في المقدمة، باب وجوب الرواية عن الثقات برقم 1.

قال شيخنا : " فنأقل الكذب كاذب ، فإذا رويت حديثا كذبا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنت أحد الكذابين أو الكاذبين ، فأحرص على تبليغ ما يبلغك من العلم على الوجه الصحيح ، وبالأمانة العظيمة التي عرضها الله - تبارك وتعالى - على السماوات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنّه كان ظلوما جهولا " ؛ فهذه فائدة دقيقة بعض الناس يحب يتكلم ، يحب يظهر ما عنده ، يحب يتصدّر ؛ لكن دون تثبت ، ودون أن يعلم .

- هل هذا الذي يبثه ويبلغه للناس علم صحيح أم لا ؟

فإن كان يعلم أنه علم صحيح وما تلقاه من العلماء وبيّنوا صحته ؛ فليبلغه للناس ؛ لأنك مأثور بذلك ، وإن كان لا يعلم ؛ لا من باب الوسوسة ولكن من باب أنه فعلا لا يعلم ؛ فإنه يجب عليه أن يصمت ، وأن لا يتكلم في دين الله إلا بعلم وحلم .

- ومن الفوائد :

وهو متعلق أيضا بما سبق ، أن النصوص كثيرة في وعيد من يكتم العلم ولا يبلغه كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ (6) ، فيكتم هذا العلم ؛ فهذا يستحق اللعن ويستحق الوعيد الشديد .

قال - صلى الله عليه وسلم - (مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ أُجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ) (7) وكان بعض العلماء إذا سُئِلُوا تكلموا ثم يذكرون هذا الحديث يقولون : " والله لا نحب أن نتكلم ؛ ولكن لولا خشية أن نكون من أهل هذا الحديث لما تكلمنا " .

فهذا أيضا فيه فائدة ؛ أن بعض الناس عنده علم صحيح ويعلم أنه صحيح وعنده معرفة بالأحكام ولكن لا يتكلم ، فيكتم العلم ؛ فهذا إن لم يكن هناك سبب شرعي يمنعه من تبليغ العلم كخوف الضرر ؛ فإنه يُخشى عليه أن يكون من أصحاب هذا الوعيد الشديد .

(6) سورة البقرة [الآية : 159]
(7) رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن .

- ومن الفوائد :

أنا أمرنا بتبليغ العلم والدعوة إلى الله - عز وجل - ؛ ولكن بالأسلوب الطيب وبالأسلوب المقنع ، وبالحجة الواضحة ، وبالْحكمة ، واللطف ، واللين ، والرفق كما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصحابته الكرام يبلغون العلم مقروناً بهذه الأخلاق العالية والصفات النبيلة ؛ اللين والرفق ، قال - صلى الله عليه وسلم - (إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ) (8) وقال - صلى الله عليه وسلم - (مَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَمَا تُنْعَزُ الرَّفْقُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ) (9) .

فنحن مأمورون أن نتعلم فعلينا أن نتعلم ، وأن نعمل ، وأن ندعو إلى الله - تبارك وتعالى - بالطرق التي رسمها الله لنا وبينها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لنا وطبقها ، وطبقها صحابته الكرام من بعده - رضوان الله عليهم - .

هذه الأخلاق ظهرت للناس ؛ يعنى العلم ، والعمل ، والدعوة ، وطيب الأخلاق ، والرفق ، واللين فجعلت الشعوب تقبل بقلوبها وأسماعها وأبصارها على هذا الهدى وهذا النور الذي كان يحمله أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - .

ثم بين شيخنا - حفظه الله تعالى - أن من الفوائد ما ذكره أيضاً ؛ أن منهج الجامعة الإسلامية منهج عظيم وضعه أئمة أعلام أنشئوها لإعادة مجد الأمة الإسلامية على ما كان في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه على الكتاب وعلى السنة وعلى منهج السلف الصالح ، بعد أن رأوا أن العالم الإسلامي في وضع مؤلم جداً ؛ من الجهل ، وانتشار البدع والخرافات ، وضياع التوحيد ومكانة التوحيد إلا من سلمه الله - تبارك وتعالى - ، ولا يفوتني أن أذكر أيضاً أن هذا من أوائل اهتمامات الدولة السعودية ، فإن الدولة السعودية - حرسها الله من كل سوء - اهتمت وولاة أمرنا اهتموا بنشر التوحيد ، وبنشر الدين الصحيح في الداخل وفي الخارج .

(8) أخرجه البخاري .

(9) صحيح الجامع [5654]

فكانت هذه الجامعة الإسلامية منازًا لاستقدام وقدم طلاب العلم من مختلف البلاد الإسلامية ؛ ليربّوهم على العلم الصحيح ، ثم يرجعوا إلى قومهم معلّمين وناشرين للسنة ومنهج السلف الصالح ، ومعلّمين لهم الكتاب والسنة فيكونون خيرًا لهم ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (10) ، ولذلك ذمّ الشيخ - حفظه الله تعالى - فقال : " بعض الناس يتعلّم ويجلس هنا ، ما يأخذ بقول الله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ " .

فذمّ الشيخ - حفظه الله تعالى - من تعلّم ولم يرجع إلى قومهم ليعلمهم ، كما كان الصحابة يقدمون على النبي - صلى الله عليه وسلم - يتعلّمون ثم يرجعون إلى قومهم يعلمونهم ما أمر الله - عز وجل - به ، وأيضًا ما يُذمّ به بعض طلاب العلم ؛ ممن تعلّم العلم ورجع إلى قومه ولم ينشر العلم ، ولم يعلمهم ، فمنهج الجامعة الإسلامية ؛ منهج سلفي في موادها ، ودروسها ، ومقرراتها ؛ هذا الذي أثنى عليه شيخنا - حفظه الله تعالى - ؛ ما يدل على أن على طالب العلم أن يهتم بالعلم والتعلّم والعمل والدعوة والصبر .

- ثم من الفوائد :

ذكر شيخنا - حفظه الله تعالى - أيضًا أن الأخلاق لها آثار عميقة ، وقد حثّ الله - عز وجل - عليها ، وحثّ رسولنا - صلى الله عليه وسلم - عليها ، وكان - صلى الله عليه وسلم - يتعامل مع الناس بهذه الأخلاق ؛ مع أهله في بيته ، مع أصحابه ، مع خصومه ، حتى إنّ يهوديا سأم على رسول الله فقال : " السام عليك " ، فقال - صلى الله عليه وسلم -

(وعليكم) ، فقالت عائشة : (وعليكم السام واللعنة) ، فقال - صلى الله عليه وسلم - : (لا يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق) فقال شيخنا - حفظه الله تعالى - : " انظر يهودي ترقّق به ، إذا وجد منك هذا الرفق دفعه للإسلام ، أو على الأقل يدفع الله بهذه الأخلاق العالية شرًا كثيرًا من شرّ هذا ، ويكون ذلك في صالحك

(¹⁰) سورة التوبة [الآية : 122]

وفي صالح الدعوة إلى الله - تبارك وتعالى - .
وهذا آخر الفوائد من هذه الرسالة ونكون - بفضل الله عز وجل - قد انتهينا من فوائد هذه الرسالة .
أسأل الله - عز وجل - أن ينفعنا بما سمعنا ، وأن يرزقنا العلم النافع ، والعمل الصالح ، وأن يرزقنا الإخلاص
في القول والعمل .
وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

